
عمر الجفال
الحياة
بنقالة <<<
متهالكة

# الحياة بنقالة متهالكة

عمر الجفّال

# الحياة بنقالة متهالكة

(وحيدٌ في همّة لا تُؤرَّخ

أو

عن اسمي الذي يتنقّل بين القبلة و القتل)

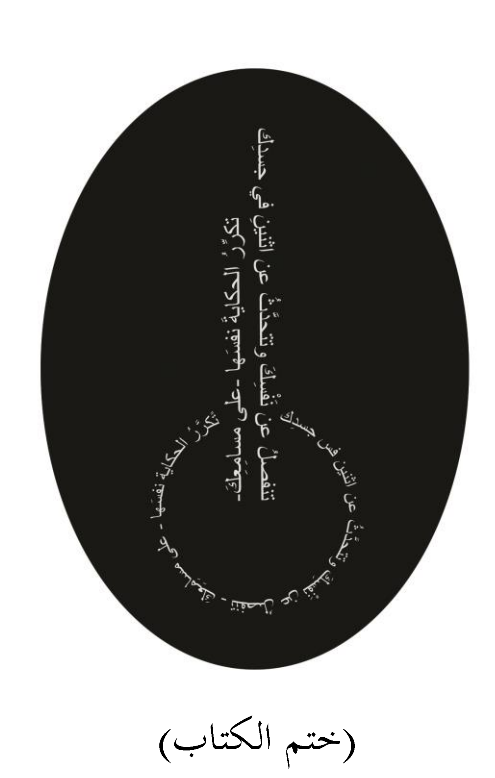


اسم الكتاب : الحياة بنقالة متهالكة
اسم المؤلف : عمر الجفال
تصميم الغلاف


الطبعة الأولى : 2016
رقم الناشر الدوليّ : ISBN 978 – 1 – 326 78212-2
الناشر : دار مخطوطات



**Makhtootat press and publishing house**
**Mauvelaan 67**
**SW Rijswijk 2282**
**The Netherlands**
**Tel : 0031610119235**
**0031620778642**
**e-mail: makhtootat1@gmail.com**


تنفصلُ عن نفسِكَ وتتحدّثُ عن اثنين في جسدِكَ
تكرّرُ الحكايةَ نفسَها -على مسامعِكَ-

(ختم الكتاب)

تنفصلُ عن نَفْسِكَ وتتحدَّثُ عن اثنينِ في جسدِك

-تتكرّرُ الحكايةُ نفسَها -على مسامِعِكَ-

تنفصلُ عن نَفْسِكَ وتتحدَّثُ عن اثنين فس جسدِك

- تتكرّرُ الحكايةُ نفسَها - على مسامِعِكَ -

هل ستحظى بما فكّرت،

بما أرّقَكَ وأنت تنوح بجانب الستائر الذَابلة.

مَنْ مشى في مخيِّلتك، تتمنّاه أن يكونَ خليلَك، رغم كُرهكَ الأعمى لمن وجدَكَ تتخبَّطُ بالأَعمدة وهي تضيء العقيدَةَ بالخوف.

تتركُ الأرض وتطير،

زيفُ الموعد في مسائلك يَكشفُ عن ولَعكَ بخديعة نَفْسك.

تكرِّر الحكايَة نفسها –على مسامعكَ–

تنفصلُ عن نَفْسك وتتحدَّثُ عن اثنين في جسدك.

( بعد خمسة أيام من كل أسبوع، أقضيها مضطراً خارج المنزل، يتفاقم فيها خوف من قتل على الهويّة، أو موت بسيارة مفخخة، أو حفلة اطلاقات نارية هوجاء، أرجع إلى أُمي التي تستقبلني وكأني عائد للتو من جبهات القتال. تشم ملابسي بحثاً عن رائحة البارود، وتتفقد ملامحي لتطمئن على أن سحنتي لم يطلها جنون العاصمة الذي ينشر الرعب في الشوارع.

لقد أتممت 26 عاماً من عمري الموزع بين بغداد ودمشق. العاصمتان الموزع دمهما بين قبائل الفضائيات والصحف ومراكز الدراسات.

أنا الآن في بغداد.

هنا، أدفن وجهي في صدر أمي وأنام، علَّ رائحتها تطرد الكوابيس التي تلاحقني. وحين تشعر بضيق من التصاقي بها أمسك يدها فقط، وأغفو. أحياناً أوقظها لأطلب منها أن تحضر لي كوب ماء، ولست بعطِش، فقط لأعرف إننا ما زلنا هنا في هذه المدينة التي لا نعرف أين ستمضي بنا).

المتعةُ عندَ الآخرين، تجعلُ منكَ، مجنوناً يخبطُ المجرّات بالمجرّات.
ليس كوكبك هذا لتفعلِ ما تشاء
-حياتُكَ أبسطُ مما خلَّدَها خيالك-
الخلودُ لمتحفِ العباءِات النادرةِ والشُّعيرات الزائفة.

يموتَ من تضعهُ على جدارِ فَراغك
تموتَ الأفكار فور اندلاعِها،
تموتَ الحرائق عندما تأكلَ ما تبقّى في مُتحَف الذكريات
تموتَ الأحجية عندما تصيرُ مشاعاً للعامّة
يموتُ كلُّ ما تفكّر فيه.

قالَ أَعرابيٌّ مرةً: الجواد أرّحتَ حوافره الحياةَ، والبلاغةَ نَهب للسلاطين،

لم يجنح خيالُكَ أكثر مما دُخْتَ في انغلاقِ الماءِ على البياض.

والدوائر تلك تقتل النمل والبشر،
يصنعونَها بفحمِ الجسد ولُعاب الشهوة
هل ستحظى بَكلِّ ما فكّرتَ فيه؟!

( تشرب شايها بالقليل من السكر، وأشرب قهوتي مرّة في الصباح، أضع قبلة على جبينها، وتبدأ بالقلق عليَّ حين أخرج. كلّ منا يتخيل سيناريو حتفه. كل منا يضع سيناريوهات عديدة لموته.

كل صباح ألمس أيَّ شيء بجانبي لأعرف أني حيّ. مرّة أمسكتُ بحذاء بجانب رأسي. كانت رائحته عفنة لأني سرت به يوماً كاملاً في أحياء بغداد برفقة صديق ونحن نكرر: بغداد «شماعيّة» كبيرة.

عرفت أني حيّ، وعرفتُ أن الحياة لا تقلُّ عفونة عن هذه الرائحة ).

الأجدى، أن تطلب عشاء للنملة
وأن تنام وحيداً كذئب
في برار تصنع التنجيم للقادم
لأن الحياة تخلو من أبواب تفتح نفسها على البلاغة.

تُفكّر، من غرفة معتمة بضوء صناعيٍّ، في البرّية والحياة، تُفكّر، دونَ عناية بملاذ – الوحدة صديقة تتنكر بزيٍّ في كل رحلة.

– الحياة مدرَّبة أكثر مما اعتقدت.
وأنت
تنفصل عن نفسك وتتحدَّث عن اثنين في جسدك.

(العراق «شماعية» كبيرة.
مستشفى أمراض نفسية بلا أطباء. كلنا معتلّون. فُصام وقلق وارتياب، ووساوس...
بعضنا يسيطر على نوبات جنونه، لكنه ينفجر يوماً، ويعيش وحدة لا أحد يهتم لها. لا أحد يفتقد أحداً، كلنا يائسون. كلنا ينظر إلى حاله التي تبدو أنها لا تتحسّن، إذا

أمّنت نقوداً فلن تؤمّن حياة خالية من الرعب. أنا مريض، وكذلك هم أصدقائي.
لِمَ حالي هكذا؟ ).




*تُكرِّرُ الحكايةَ نفسَها -على مسامِعِكَ*
*تنفصلُ عن نَفْسِكَ وتتحدَّثُ عن اثنينِ في جسدِك*

لن يفسِّركَ أَحدٌ، ابتعدْ عن ظلّكَ قليلاً ودَعْهَ يشبخ على الأعمدة، دَعْ وجهكَ يأخذُ شكلاً في المرآة، انفلتْ في كلِّ شيءٍ وعَلى كلِّ شيء، تِلكَ حياتُكَ.. اركضْ نحوَها.

بدِّد إشاراتك وهلوسةَ العرافة، لا بدَّ أنْ يطفح زبدُ أمنياتكَ عندَ حذائك. أكثر ما تتمناه مسحته يداكَ حين لوحتا علَى بلور الباصات. تتمني وتمسح كلَّ شيءٍ صباحاً. في الليل سرٌّ يندلع في توهُّجه ويغيب -ارفعِ الليل بعصًا وابحثْ تحته أكثر- نقِّب عن نفسَكَ في ترسُّبات التفاصيل.

لست وَحيدا، لست مجتمعاً، أنت في كلِّ هذا.. لا تندثر لحظةَ ظهورك.

( يحدّث سائق الباص نفسه. يبدو كلامه واضحاً تماماً. يلعن الشرطي والساسة. وتجيبه عجوز بعباءة ووشم على حنكها بأن يهدأ، فيغالي في الشكوى أكثر.. خالفه الشرطي إياه لعدم وضعه حزام الأمان. سرعان ما تنفجر العجوز بالبكاء، لأن موظف الجنسية لم يمنحها البطاقة الوحيدة التي تثبت عراقيتها بسبب نسيانها أحد «المستمسكات».

ثمّة شخص سكران، يبدو أنه لم يتوقّف عن الشرب منذ أيام، ولا يهتمّ لكل ما يحدث، يستغرق النظر من النافذة إلى الشوارع المارة دون أن ينظر فعلاً إليها. ينشغل فتى جامعي بعدِّ نقوده التي تكفي لأُجرة الطريق، وسندويش فلافل، فيما يضع طفل ناحل رأسه تحت إبط والدته التي تُسبِّح بأصابعها ).

ستتركُ كلمةً مبعثرةً على طاولةِ المقهى يُجمِّعها الأصدقاءُ،
تسير، كأنْ تطير، تتساقطُ منكَ مدينةٌ تلو أُخرى

تركضُ بكسلٍ نحو الجسر لتلُمَّ الضوء الساقطَ منه، ثمةَ ظلام في أضلاعه يعنيكَ أكثر. لن تَمكثَ في الظلام لأنَّ شرطيَّ الحكاية سيطردُكَ مجدَّداً. أكثركَ يغيبُ في الظلامِ والحكاية لا تَلُمُّ نفسها، والأصدقاء- انتحرت جلستكَ في رؤوسَهم حالما رحلتَ ولا يعنيهم ظلامك.

ينفرجُ في اتِّساعه المساء،
تتسع شفةُ فتاة الإعلان،
تستمرُّ في بعثها شوارعُ مللك،
يتّسع كلُّ شيءٍ وتضيق في نفسك.

( لم أقص شعري منذ عام أو أكثر.
أشعر أن الحلاق سيحزّ عنقي بموسى معقّمة، والدم ينطّ حاراً بينما يضحك زبائن المحل بهستيريا مجلجلة. الدم حار وعيوني باردة، والموسى نظيفة تماماً. لست ملاكاً ولا رامبو كذلك لـ«أقضي حياتي جالساً مثل ملاك في كرسي حلاق»).

تُعلّقُ نفْسَك في كرسيِّ الحديقة، تُقبِّلُ رجلَها، لن يسمعَ صراخك سوى الفراغ. تبعثر المدينةَ وتلبس الخُرافةَ تاج الحكاية، وتُمسك، بكاملِ خوفك، صولجانَ العتمة -غيرَ الحكاية لَن يتلاَشى شيء في مسائِك-
تَكرِّر قصةَ اللّوحة،
تَكرِّرها بالظلام،
تكتب أكثر ولا حبكةَ تَلُمُّ الحكاية
لن يُجنَّس شيء في عصرِكَ، اكتبْ حكايتَكَ

اكتب ظلامكَ في الضوء،
الحكايةَ أكثر ضوءاً مما تعتقد،

لستَ راءٍ، أنتَ وليُّ حياتكَ، لا تتنبأْ بيومكَ، ستخذلُكَ المدينةُ وتفاصيلُهاً.

طالما خذلت المدينةُ الطريقَ، خذلت الحكايةَ حين نَمَتْ على رصيفها. خِذَلتْ عاشقَيْن تسترّا بكذَبة قديمة.
الكلُّ يسيرٍ، والمدينةُ جاثمةٌ على أضلاعًها،
كأنها كلب طريقٍ يَدُسُّ أملَهُ في عظمةَ طازجة.

( صوت صافرات الإنذار لا يغيب أبداً. أعرفه كما أعرف صوت أمي. زمجرة الصواريخ وهي تنتحر في حدائقنا الخلفية طيلة أربعة أيام، الشظايا تخطّ ذكرياتها على أسطح منازلنا. رائحة تبغ والدي الرخيص، وطعم الدبس المحترق، وعفن البطانية القديمة. كل شيء كان رثاً. لم يكن موتنا المؤجل في شهر كانون الأول/ ديسمبر عام 1998 فاخراً. أمي استعادت كل الأشياء القديمة والمتسخة، وكأن الحياة التي كان يحسبها والدي بأصابعه المرتجفة لا تليق بها بطانياتنا الفاخرة والكؤوس البراقة، والشاي المصبوغ بقطع الهيل الكبيرة.

الحرب كانت تعني من بين ما تعنيه - الالتصاق بالأشياء البالية والذكريات المزعجة. حتّى الغرفة التي كانت تحت السُّلّم، التي نخبّئ فيها الأحذية، أصبحت ملاذاً عظيماً من صواريخ رعناء يطلقها طيار يكبس أزراراً ملوّنة ويتذكر حبيبته ويسمع أغنية صاخبة. نمنا طوال أربع ليال بجانب الأحذية.

أمي كانت تحافظ على الذكريات كما هي، وأبي أخرج الراديو القديم، الذي استعمله في حرب الثماني سنوات مع إيران، وغزو الكويت، وها هو يستخرجه في الحرب الثالثة، التي لن تكون الأخيرة في جدول حروب ربما لن تنتهي ).

كلُّ مساعيكَ تجرُّها رياحٌ إلى حبال. وحيدٌ في همّة لا تؤرّخ. تشجب الريح ولا يأذنُ الباب بفتحه -تلك الشفةً لا تتسع لقُبلة. العربات لا تجُرُّ إلا ما جاءها من حصاد المتاحف.

( لا شيء سوى الظلام يخيّم على المدينة.

لا شيء سوى لحية والدي التي نبتت فجأة وأنا أتلمّسها لأعرف أنه موجود فعلاً، أما أذنا والدتي الباردتان فهما ملاذي الوحيد في تركيبة العتمة والخوف، كنت أفركهما كمسبحة. لم تعارض أبداً.

لم يكن الموت يعني لي الكثير، فما كان سوى حياة أخرى في قلب طفل بلغ عاشرته في الظلام ).

تقف

مشدوهاً

وقدماكَ تثرثران عجلاً، قلبُكَ ينبضُ بينَ فخذيِّ فتاة لوّحت الأغطيةُ لشبقها.

المساءُ كلُّه لخرافة الحكاية. السّلطانُ يحملُ دمَ فتاة في قعرِ زجاجة. قاربَ موتُ المساءِ على الظهور. تحكُّ إصبعكَ وعود أسنانكَ ينكشُ الخوف. لَا طعام سوى الحكاية. تتربّعُ على أطرافكَ، تنظر، بريبة روائيٍّ، إلى مدخلِ الطريق:

قَدَمٌ مأخوذةٌ بأخرى، جلبابٌ يتلوَّنُ في الضّوء -لا يدَ تربت خيالَك- الفارقُ ما بين لحظة الخوفِ والموت انفَجارُ دمعة على باب قصر.

تعلو الرماحُ في البلاد. الصّباحِ دُعاءٌ مبتورُ الفَخذ، والآياتُ تهتزُّ في مطبّاتِ المدينة. مطَباً تلو مطَبٍّ تفتشُ عَنَ الآلهة الغارقة.

أكثرُ ما يشغلُ الخائفَ وحدتُه. ضحكةٌ! تعيدُ مساءَ الأصدقاءِ إلى طاولاته.

( يقف أبي عند باب الحمام، وننتظر نحن الإخوة دور الاستحمام، تدعك أمي وجوهنا بالصابون لتزيل الحرب عن وجناتنا.

كنت سمعت عن غسل الموتى حديثاً، اعتقدت أن ما تفعله أمي هو غسل لأجساد تحلّقت أرواحها، إلا أن الفرق بأنها تغني لنا، بينما غاسل الأموات يقرأ القرآن ).

رحيلٌ والأبواقُ تبعقُ في بلاط. عينٌ تدمعُ والأخرى جاهزةٌ لوداعِ ملائكة طائرة في حديد. الجواب يقلق السؤالَ في منامه. كلُّ تلكَ الحقائبِ مشانقُ لليلِ البلاد. مؤامرةٌ يلمُّها شَكُّ الشاعرِ ومشهدُ الروائيِّ. هذا الذي ضلَّ الطريق لن يعود. الفارقُ أنكَ ضعتِ مذْ تنفّستَ على يد ممرضة. حلاوةٌ وزِّعتْ لاسمكَ ولن يعلو. مشدوهٌ في الحكاية. البغي مشدوهةٌ بأضلاعكَ. حراكٌ يلدُ حزناً أصمَّ. خوفٌ يعتلي الخيالَ لحظةَ مهبِّه.

من هبَّ ضاع، من دبَّ مات في برزخِ الولادة.

( أربع حروب عايشتها.
ولدت وسط رصاص متبادل بين إيران والعراق، ورضعت آخر قطرة حليب في حرب الخليج الثانية، أكلت الدبس المحروق والخبز في "ثعلب الصحراء"، وبلغت في غزو العراق وإسقاط نظام صدام حسين.

الحرب لم تكن الملهاة بل كانت السعلاة التي تسمّن الموت بأعمارنا ).

الحرب "تعمل بجدّ" دون أي تعب. تطبِّق أهدافها بشكل كامل دون مواربة. ستخلّف الأرامل والتهجير والمزيد من الأطفال المشوهين.

( ولا هي الحرب إلا مراهقة تركب سيارة فارهة تدهس مجموعة أناس واقفين في إشارة مرورية ، ولا يتم إمساكها. إنها تعيد الكرّة كل يوم دون رقيب ).

تنتظرُ وشاربُكَ يختبئُ في فَمكَ رعباً. السُّفُنُ لا تحطُّ في دروبٍ ضيّقةٍ. سلامٌ على خليجِ الحَكاية.

( أعوام مرّت على المدينة التي كانت ملاذاً لي ولأقراني من العراقيين وهي تعيش تحت رحمة غول الحرب. صواريخ وصواريخ مضادة

محا صاروخ ذكريات
- حاولت الحفاظ عليها -
حين سقط على منزلنا في صحنايا

الآن، عليَّ أن أكرَّ صور بشاعة الحرب مجدداً: أتخيّل رجل البحرية ببزته الأنيقة على ظهر إحدى السفن وهو يلمّع الصواريخ الموجهة إلى قلب دمشق. ما الذي يعرفه هذا الفتى عن دمشق؟ هل سيندم مثل أقرانه الذين غزوا من قبله عراق دمرته كذبة أسلحة الدمار الشامل؟ ).

البَرُّ برُّ الغرقى في الوجود. تَعدُمُ الطيورُ في مساءِ الطائراتِ.
دخانٌ يحطُّ في رئاتٍ ناقصةَ.

( وكيف سيكون وجه أبو حالوب الآن في مقهى الروضة، بعد أن أنهكته المفارز التي تتبدل ليلاً، أعتقد جازماً بأنه - وهو الحصيف - يسمع صوت الموج وهو يلطم واجهة السفن التي تحمل على ظهرها صواريخ "توماهوك" أو "كروز" وتحاول قذفها إلى سوريا.

كيف يدخن الآن محمد مظلوم وهو بانتظار طرف ثالث أو رابع في الحرب؟ وما الذي يستشفه من كل الذي يدور: هل ثمة برابرة قادمون، ومن الأدلاّء الجدد؟ ونوار وابنتاها الشقراوتان، هل هما مرعوبتين الآن، هل يزداد رعبهما مع موعد حرب جديدة قادمة، هل خزّنت ما يكفي من النسكافيه التي تحبّ؟ وفاطمة وأحمر شفاهها، هل سيزيله رضاب تبلل شفاه فاغرة؟ ).

ستموتُ مَنْ أحببتَ بكسرِ رقبةِ التقادُم.

( ساحة يوسف العظمة، هل حصّنت نفسها بالمطر والضباب؟ وشجيرات حديقة السبكي هل ثمّة من يسقيها؟ وحانات باب توما، هل ثمّة من يلمِّع كؤوسها؟ والسيدة التي تصنع الدوائر بسيجارتها، التي كنت أراقبها كل يوم، هل اختبأت في ملجأ؟

هل هناك والد يخبئ أطفاله تحت يديه، ويضحك بهستيريا خشية ألاّ ينفلت قلقه إلى تلك القلوب المرتجفة، هل سيخبئهم الآن في أوردته بعد إطلاق الصواريخ؟. الأمُّ هل تدهن الخبز بالدبس من أجل إطعامهم؟ والصوت الأجش الذي يأتي من إذاعة "مونتي كارلو"، هل لا يزال بنفس جبروته؟ والحمام؟ هل ثمّة صابون يكفي لغسل كل تلك الأجساد المرتجفة؟ ).

هباءٌ في الجهات وسرْ!

عُجلٍ مساءِ المَدينةَ يلتفُّ كعاقرٍ على أولاد الخيال. المصاطبُ تُعلِنَ إفلاس الشوارِب، لا مهنةً في مساءِ الرْجوعِ إلَى الصِّبا. لا حَكايةَ ولا بِطولةَ، حنينٌ فقطِ لتذكارَ من ذهبوا في معادن الأشهر، في رِكام الأرقام تتقافزُ فيَ الساحات، في كبريت البردَ لا يحترقُ؛ عجل كَبَطْنٍ تحمل فضيحةً، كمساءِ أرملة تذرعُ الشهوةَ فخذيهاَ.

موحش وباطل الضوء حين يفضح مستوراً طالَ رقاده. باطل وقبضٍ ريحه عقابِ تفكُّك الأِحلامِ علِى الأماسي.
أمسيةٌ بوشَاحٍ يطير، والصَباح دافئ بعريه.

( القرآن ينبعث من راديو جدّتي. تحضر مجالس العزاء إلى بيتها. رائحة البخور تستكمل الطقس. تُسبّح بأصابعها: قُل "يا الله" قبل أن تجلس أو تقوم، قُل "يا الله" حتّى تكبر وتدخل المدرسة، قُل كذلك ليأتي والدك بالدراجة الهوائية وتنثرها على الإسفلت.

كم فتشت عليك.
تقشّر جلدي على الجدران وأنا أُفتّش عنك. أتخيّلك ستأتي في الليالي الحالكة لتحدّثني. ما هو شكلك؟ وصوتك؟ ورائحة البخور تلك، رائحتك؟

أين أنت؟.

أخبرني قريني أنّك مسنّ بلحية ناعمة وملساء، كان رآك في الحلم، ووعدته بدراجة، ولم تأتِ بها. كان يشتم جدّتي لأنها تحبك وتعلّمني على المودّة بيننا.

لماذا تنافس والدي في محبّتها؟.

من؟ عيدة.. جدتي التي لم يدخل العيد بيتها ولمّا تزل تنتظرك.
أخذتني إلى إمام عندما كنتُ في السادسة. دسّت أصابعي في ضريحه، وطلبت منّي الدعاء. أجهشتْ بالبكاء وهي تطلب منك بكلمات عجولة ما لم أفهمه. خلتك في الداخل، وتخجل الخروج إلينا. أو أنك مريض ولن تستطيع لقاء كل الناس. سجدتُ كما فعلتْ، وطلبتْ منّي قراءة الدعاء على بوابتك عند الخروج "أَأَدْخُلُ يَا مَوْلايَ". ظننتها تعويذة في البدء، لكنها لم تكن كذلك ).

سرْ ولا تجدْ منْ سبقوك!
الَطريق نفسها مفلسةٌ من الخيالِ. إطلاقُ رصاصةٍ عجلى تَقتُلُ وتَموت.
الكرزةُ التي ماتتِ
في مشهدٍ أباح التأويل

أخطأتْ تصويبَ خوفها إلى بطنها
أجدرُ بها أنْ تشدَّ حملَها إلِى جذعِ المدينة وتنامَ فارغةً من الحياة. أجدرُ بها أن تؤسطر انتفاخها، كأَنْ تطير في المنام والآلهةُ يتراقصونَ بدفوفِ حولَهَا –الصينُ تُحلُّ صنعَ الخرافة في الفضيحة.

( كان سحرك كبيراً ويزداد كلّ يوم. كانت عيدة تحدّثني عن فضلك عليها طيلة النهار، لكنها في الغروب، تدلع رداءها من عند صدرها وتعتب عليك لأنك لم تُعِد ولدها.

هل تذكر حسين؟
العقائديون قتلوه في حربٍ كان الصراع فيها على اسمك يشتدّ، ويشتدّ معه الموت ).

ستأتي... بوشاحِ الحكاية، تزمُّ شفتيها على سرٍّ نامَ في طريق ذهابك. البطنِ انتفخَ أكثر، الحكايةُ تلتصقَ بالأحفاد كلما تسامَروا على القحط. تكتب... كأنْ تعترفَ بأفعال غايَة إله. الصورةُ معتمةٌ في ضَوء السِّجن، وفي ضوء الحفلاتَ الوطَنيةّ. البطن منتفخةٌ ولا يُحلُّ التمنيّ الحياةَ. ناقصٌ كلُّ شيَء، ورغَم هذا، الحكايةُ تكتمل في لسان الأعياد.

( جرّتني أسطورتك إلى ملاليك في الثالثة عشرة. كنت يافعاً وأودّ رضاك كي تشدّ عودي وتجعل السراويل تليق بي، وتنفخ عضلاتي لأرفع كمّ القميص عند الزند. كنت يافعاً وكان الموت أقل. لم يكن القلب عليلاً، ولا أناس البلاد التي طفتها متوحشة.

دخلت إلى حسينياتك وكلّي يقين بأنك سترفع الحزن عن جدّتي بعد أن دلّتني على محبّتك. جلست إلى الشيوخ وسمعت هراءهم. كانوا يستغلّونني باسمك. ثلاثة أشهر وهم يضعون أكياس الأرز على ظهري لأتقرّب بها إليك. لم يكتشف والدي هذا، كان يكدّ ولم تنظر إليه، حتّى وشى بي صاحبه، ومنعني من مجالسة ملاليك حتّى لا أكون بغلتهم التي سترمي نفسها عن جبل العقائد ).



*تُكرِّرُ الحكايةَ نفسَها -على مسامِعِكَ-*
*تنفصلُ عن نَفْسِكَ وتتحدَّثُ عن اثنينِ في جسدِك*

( أتذكر؟

كان أقراني يسبحون بدمائهم في شهر محرّم، وصاروا يُدرّبون على كره الطوائف، ويطمعون بالوصول إلى حواريك وولدانك المخلّدين. لكن هذا لن يحصل إن لم يحملوا الأكياس.

كان والدي يحبّ عليّاً، ولم يكفر بكَ يوماً، لكنه كان ينظر إلى صلاتك كـ"تمارين سويدية" لا تُقرِّب إليك، ولا تأتي ثمارها، فالذي خلق الكون كلّه، لن يرضى بعبادته بهذا الشكل. لن يقبل بأن يُختصر بكلمات تُقال على عُجالة وهو ساجد. كان يؤمن بأن منح الناس المحبّة والمساعدة

هو العبادة كلّها، بينما شدّني أنا زيّ الملالي، شدّتني العمّامة الناصعة السواد والبياض، وخواتم الخرز الملوّن التي فيها روحك ومكارمك. اعتقدت أن أولئك يحدّثونك ليلاً، يطلبونك إلى مساعدة مريديهم، وكنت مريدهم ولم تلفت ).

تَكرِّر الدائرةُ نفسَها في كلِّ مناسبة وتُعيدُ خلقَ القصصِ. تنبشُ الأعياد ما دفنته ساعة الروائي. اللسانُ دائماً يمرِّغُ نفسه في الروحِ والجسدِ... يحفرُ في القلبِ، ينتشل الدّمَ كلّه ليجعل الأشياء صفراء، كيوم بلاد لا خضار في نزهاتها.

( في السابعة عشرة قرأت "موتك" على يد "نيتشه". كانت رصاصته قوّية كدوّي الانفجارات. ورغم رصانته لم أرضَ لكَ ذلك حينها. قلتُ ستلتفت عمّا قريب. قلت كل السائرين إلى أوليائك سيحثّونك إلى رحمتهم من جور رجالك وملاليك. قلت ستعرّي جلابيبك عنهم، وتتركهم، وسيكشفهم طفل كما كشف الإمبراطور مرّة، إلا انك صممت أُذنيك.

لم يتبقّ لي الآن إلا الخواتم،
وكُتب "نيتشه"،
فهيت لك ).

## سِرْ... الحكاية لن تكتمل!

( فرق كبير بين الموت والقبلة، مع أن القبلة موت محبّب لثوان، دوار لطيف. إلا أن الموت بشع، لأنه يعني الدم والعدم. لكن كيف يمنح اسم، بأحرف ثلاثة لطيفة، معنيَيْن في آن واحد: معنى الحياة والموت؟ كيف استطاع هذا الاسم التحوّل إلى دونكيشوت محبّ، وإلى قاتل ينبش العدم؟

ولد اسمي بلا صراعات تاريخية. لم تحضر عشائر قريش إلى المستشفى يوم ولادتي. كانت عملية صعبة، كادت أمي أن تموت فيها. وبعد أن أخذت نصيبي ونلت ضربة على قفاي، جاء الطبيب ليترجّى والدي بأن يسمّيني باسمه، فحملت الاسم السِّحر ) .

تبرقُ الوحدةُ في نافذتك
لكأنما تحقّقت رؤية الرَائي
اطلبْ حياةً ملوثّةً بعطرِ البداوة
وسيارةً وراعياً يهشُّ علىَ الأخطَاء
اطلبِ ما يعينُكَ على التقاءِ الحياة
دون
ثرثرةِ
وصخبِ
ملوك.

( في بيتنا بدأت حكاية التشويه. لم يكن الموت أحد معالمها. كانت هناك عجوز مربيّة عمدت إلى إضافة حرفين إلى اسمي، ألف أو ياء، لأنها تعتقد أن نطق اسمي بلا زيادات هو بعض من الكفر. كان الأقرب إليّ بينهما هو الياء، الحرف الذي يمنح اسمي تصغيراً محبباً: "عميّر". كانت الألف هي ما يزعجني، فجأة تنطّ كبهلوان حزين داخل أحرف متناسقة ومتصالحة: "عمّار". لم أحبّ هذا الاسم مطلقاً، ولم يصبح حامل اسم كهذا صديقاً لي في يومٍ ما. كانت فوبيا الاسم قد حفرت عميقاً في داخلي، وحين يناديني أحد به، فسأعرف أني لن أحبّه مسبّقاً. حافظت على خصوصية اسمي. ومن شدّة ولعي به، فكّرت قبيل سنوات، في حال ولد صبي لي أن أسميه باسمي، هكذا سينال قبلة شاميّة مضاعفة. هكذا لن يجرؤ أحد أن يطشَّ بهلوانات حزانى داخله. لن تحشر ألف هزيلة داخل اسمين متحابيّن يشبهان بعضهما بعضاً بالحرف والنطق ).

لَن يَقومَ مِنْ ضريحِه
أُمُّك تدعَوه لينهضَ
تلوِّثُ رخامَه بدمعكَ
صورةٌ التقطتْها زوجُكَ لن يظهرَ فيها غيرُ نُحولكَ وبريقُ الأتقياءِ
الوليٌّ يتململُ في مهْدِه.

( في السيدة زينب، في الشام، كانت الألف تنط إلى اسمي مجدداً. كان رجلّ الدين المعمّم يصرّ على وضعها كلما ناداني. أذكّره بأن اسمي بلا الألف النحيفة تلك. يوافقني الرأي، لكنه يعود إلى إدخالها، متناسياً تذكيري له، ومشدّداً على صراع تاريخي مع هذا الاسم.

مرّة، ذهبت إلى طبيبة أسنان شاميّة لتصليح عطب ما حلّ في فمي. وربما، لأنها خبيرة بأحوال الفم، كانت تلفظ اسمي لفظاً عظيماً يجعل من جسمي يرتجف، فوجدتني أكرّر الذهاب إليها كل أسبوع، حتى صلَّحت كل عطب، وحتى أنفقت كل ما في جيبي. لكن لا بأس، فالزيارات المتكررة كانت كممارسات حبٍّ يوفرها اسم وضعه لي والداي صدفة.

كانت علاقتي باسمي وثيقة، بالرغم من التناقضات والموت الذي يحمله. كان مثل كرزةٍ كبيرةٍ في فم بنات الشام وهن يزمّن شفاههن ويطلقنه ناعماً وغريباً كندف ثلج في صحراء. لم يتعبهن وهن يحركن ألسنتهن: عُمَرْ. ضمّته التي تعلو عينه، أشعر بها تتضخّم في شفاه اغتالها البرد وأصبحت حمراء. والفتحة التي تقف فوق ميمه كحارس وهي تُريح الشفة بعد أن أتعبتها الضمّة، والسكون على رائه وهي تنفث هواءً حارّاً. كل فتاة أعرفها كنت أنظر إلى شفتيها وهي تقول اسمي، الشفتان تنطبقان ببطء شديد وكأنهما تتوجهان إليَّ بقبلة. في

لحظات اليأس، لم أكن أرضى، بيني وبين نفسي، أن لا يكون نطق اسمي غير قبلة هوائية من فتاة سَحرتها**!** كان اسمي يحوّلني، في تلك اللحظات، إلى يوسف ينتظر أن يُقدّ قميصه. كنتُ أود حينها أن أُشيّئ اسمي لأبوسه بسبب المتعة المجانية التي يمنحني إياها ).

تسيرُ بلا ذكريات
تنبشُ القطّةُ حذاءكَ باحثةً عن ذكرى وجودك
لا ابتسامةَ في أقفال تركتَها نَهباً لمَفاتيحِ الغائبين.
أنتَ بلا ألوان
تتذكرَ ذلكَ كلّما همَّت ذاكرتَكَ بالانتصاب
تُجلسها جانبكَ لتنيمَ شعرها يتيماً على وجنتك
تنسَلُّ أصابعكَ إلَى جسدها لتُدرِّبَ شهوتَهَا على الاحتضار
قاتل أنت والضحايا يتبخَرونَ في دمك.

( في بغداد، تتلقّفني موظّفة البريد على الباب، اعتقاداً منها بأني انتمي إلى مذهبها وعليها مراعاتي، فيما تبقى زميلتها تنظر إليَّ بانزعاج شديد. وفي مكتب الحوالات، أُحال دائماً إلى سمِّيي الذي يبدو سعيداً بوجودي، فهو لم يعش غريباً ذلك اليوم، ثمّة من يزيح العزلة عنه، ويحمل اسمه. سائقو التاكسي يختلفون في التعامل مع اسمي بحسب الخلفيات المذهبية. أميّز الشيعي من السني عبر

اللهجات. إذا كانت لهجته جنوبيّة فهو شيعي حتماً، وحين يسألني عن اسمي أذكره، لكني سرعان ما ألحقه بنكته ابتدعها صديقي: "عمر، لكن المحرّك عبّاس"، في إشارة إلى أنني شيعي، أما إذا كان سنيّاً فعلي سماع محاضرة كاملة عن مظلومية المذهب، وفي آخر الأمر سيخبرني: "لكن لا فرق بين سنة وشيعة.. أولاد الحرام فرقونا" ).

الموت مشعشع
والحياةُ أقلُّ ما تَراها
فَراشةٌ تَتَلوى تَحتَ نَصلِ المرايا
والجنيةَ التي تَرى الأَحلامِ قَبلِ وقيعتها، تَتَقافزُ في مرثَون الحكمة، وثّمَةَ منْ يُحدِّر أَقاويلها ويدفَعها مدَهونة بالخَوف إلى العَلنَ. وثمّة صخب في رأسها، ونَذالة في قَلبكَ يتدافَعان للوَصول إلى القمة -وأيُّ قمة!- طَالما أنّها تُوصلُ لحتف مؤّكَد وتنهيَ سباق لاَ فائز فيه سوًى الموت والأَخطاء.

( فور كل توتر طائفي أشعرُ مع غيري ممن يحملون أسماء لها خلافاتها التاريخية، وكأننا خرفان يسمّنها الوقت والروتين وحان وقت ذبحها. أعود لتذكّر الألف التي تعبّر عن ضلعٍ يشك أنها كسرت في التاريخ، وعليّ الآن أن أدفع ثمنها. عليّ الآن أن أعيش تاريخاً لا ناقة لي به ولا ألف. أتخيّل قاتلي الذي لن يلفظ اسمي مثل مربيتي

لأنه بعضٌ من كفر. يتحوّل اسمي فجأة من قبلة مجانية إلى سبب لقتلي. عليّ الاجتهاد في تجنّب المناطق التي سيصبح فيها القتل على الهويّة مباحاً.

لكن أي الطرفين عليّ الابتعاد عنه؟

سيبدو اسمي مركّباً أكثر حين يجمع خصماً تاريخياً جديداً: "علي". اسم آخر يتحوّل إلى قاتلي بالإضافة إلى قاتلي الأول الأكيد. هكذا أحمل على قلبي اسمين لم يكن لي خيار وضعهما إلى جانب بعضهما البعض: عمر علي. أحمل تاريخاً ينبشه القتلة. لن أحدّث أولئك عن الصدفة التي وضعت اسمي. لن يصغوا أصلاً إلا إلى هسيس العدم. لن يضحكوا للنكتة. كل ما عليّ فعله هو التزام مكانٍ محايد. أن أسمن أكثر، بانتظار موعد الذبح).

شَارعاً شَارعاً تُفتِّشُ عنِ خيبة خيبة
الكنائس تستطردُ في دعك البَخور
والبشر أكثر ريبة في راحتيَ المكان.

تتدافعُ جحافل من كائنات إلى خزائنك
تفتح الأحابيل وتتلقّف كلَّ اليأس
تتَّضحُ في جمعهم ويذوبونَ في جمعك

تَكسرُ مفاتيحَهُمْ بيأسك.
المعابَد تتثاقف
والعازِبة تغطّي شَعرَها وساِقاها تُثرثِران شَبقاً.
القَلق كالنملِ يأتي من الشوارِعِ ويدخَل رأسك.

( الموتُ قادم، كلّ ما عليك هو العمل على تأجيله ولو قليلاً. لذا ادفعه بأصابعِ قدمك التي تخرجها من تحت اللحاف في الشتاء لتتحسس البرد. ادفعه بالكلام الكثير. والنقيق كالضفادع.

المفخخات تضرب الشوارع وعليك أن تحمي نفسك، وهذا ليس بالأمر الصعب.

عليك أن تشغل نفسك بألف عمل وعمل. اغرق بالالتزامات. احمل حاسوبك أينما ذهبت. كلّما انغمست في عمل أكثر، كلّما قلّلت من مشاويرك... وهكذا تزداد فرص نجاتك. من العمل إلى المنزل والعكس، حينها ستكون خطوات النجاة بسيطة:
خصص يوماً واحداً في الأسبوع لرؤية الأصدقاء، اختصر كل ما تريد فعله فيه.
مارس الحب بجنون، صعلك وعربد، وارتد المقاهي. لكن عليك الحرص دائماً. اعرف توقيت المفخخات. في

الغالب لن تكون عصراً، فهي إما صباحاً أو في أوقات الغروب ).

اقذفْ عالَمَكَ الزجاجيَّ بحصاة بؤسكِ

( كل ما عليك فعله أن تفوّت صباحك. اغرق طويلاً في نوم عميق، وتخيّل المدن التي تحبّ أن تزورها. داعب وجنات النجمات اللواتي شغلن تفكيرك في سنوات المراهقة، خطّط لمستقبلك طويلاً.. أي شيء، المهم أن تفوّت صباحك اللعين بأفضل طريقة ).

تنظرُ إلى بناء (المحافظة)
يشمخ بصعوَده
لم تسألْ نفسكَ يوماً، مداعباً، على ماذا يحافظ؟
تتطلع إليه، وتتخيل مديره يقلّب كرسيَّه ويُخطّطُ يومكَ بكاملِ روتينه.

( بعد نفض النوم من عينيك، اشرب قهوتك، واشغل نفسك بمحادثة والدتك عن الجارات والعمّات وذكرياتها مع جدّتك، أي الحماة: تفاصيل مملّة قد تقيك من الموت).

تُخفضُ ضوءَ الصالة،
ترمَي كتابك
تدسُّ رأسكَ بين رحى وتنامَ.. تغطُّ كأنّكَ لن تُفيق. -ألم تملَّ مشهدك؟-

زوجكَ تدّرب تماسيحها داخل الصالة
لن يلتهم إصبعكَ أحدها فلا تُخْفها تحتَ إبطك
ملّتْ مداعِبتَها تلكَ التماسيح وتآلفتْ مع الضوءِ والكتابِ
ستعيدُ نفي نفسها، في الصباحِ، ستدخل الثلاجةَ، وتصير طعاماً في المساءَ.

( القَتلة لهم أمزجتهم الخاصّة أيضاً. ربما يخطر في بال أحدهم تغيير موعد موته وموتك، أو على أقل تقدير إصابتك.

قد يكون الوقت الذي حسبته خارج أوقات عمل القاتل خطأً. دورة الموت تتغيّر في بعض الأحيان. القاتل يكون عجولاً بقتل نفسه وقتلك، فحاول أن تتدرّب على فقدان أحد أطرافك، هذا سينجّيك من إحباط.

احرص على ترك ابتسامة كبيرة على وجهك. افعلها على الدوام. علّ ضحكتك تبقي ذكرى لدى الجميع. ابق متأنقاً

أنّى استطعت. استعمل عطراً واحداً وفاخراً ليظّل عالقاً في أنوف الآخرين. فما جدوى موتك دون أن تعذّب الآخرين بذكراك؟ ).

كم مضى ولم تصرخ؟ كم مضى وزوجك لم تعضَّ يدكَ شهوة؟ تُمشِّطُ شعرِها بمَلَلكَ، تُحدِّثُها عن موظفة جديدة لم يقشعر بدنُكَ لكرزِها، تمَصُّ حلمتها، تُسلِّل أصابعَكَ إلى عانتها، دونَ عناية، دونَ أيِّ حماس، ترهز، وتنام.

( منذ بدء الشتاء لا ألفُّ نفسي بغير شال أحمر، معه لن يكون منظر الدماء مزعجاً، كما لو كان أبيض مثلاً. ألبس الجينز السميك، فهذا خدشه سيكون صعباً. القمصان نزعها أسهل في المستشفيات، لذلك تعلّم لبسها. اعتنِ بجسمك باستمرار، وانزع الشعر. فكّر بالممرضات الجميلات، في حال نجوت. فكّر بطبيبة ذات أسنان ناصعة. وفكّر بالنساء اللواتي تعرفهنّ، النساء اللواتي سيأتين فجأة لزيارتك دفعة واحدة ) .

أنت أكثر كآبةً في الصباح

لن تضربَ الشرطيَّ لأنه أوقفكَ عند الإشارةِ

ستعيدُ تحرير الموادِّ مجدداً،

تصبُّها في قالَبِ المدير.

حَمَلتَ إلى البيَت
كيس خضار وبَضع بهارت
وقليلاً من الكآبة في دورق.

أَصخِ السمعَ لجلجلة التماسيحِ تُعدُّ نفسَها عشاءً
يرتفَع الصراخ،
إبهامك تطمس نفسها في الكتاب
وثمّةَ رِعدةٌ خائفةٌ في بابِ البيت

– الجيشُ يرتِّبُ طائراته لتحطَّ في خوفك.

( سمعت ذلك في نشرة الأخبار: سلسلة انفجارات ضربت المدينة. أنظر إلى نفسك: نجوت؟

الآن، أشعل سيجارة، وأشرب كأس ماء مليئة وباردة. أحرص على شراء هاتفين، أولهما رخيص، حتى لا تكون خسارتك كبيرة عند ارتطامه بالحائط بعد سماع خبر موت أو إصابة أحدهم. وليكن ثانيهما كما يحلو لك. كلّم عائلتك. والدتك لم تعد تخرج للسوق بسبب ركبتيها اللتين أتعبهما الخوف عليك، ووالدك يمسك كتابه الآن ويحاول ألا يسمع نشرة الأخبار. اتصل بإخوتك. وبعدها هاتف صديق فضولي اعتاد الاتصال واللقاء بالجميع. هذا

سيوفّر عليك الكثير من الاتصالات. سيعطيك تفصيليّاً لائحة موت وحياة الأصدقاء ).

أَكثرِكَ باردٌ، أَقلُّكَ منتبهٌ
والحيطةُ تحتاطُها لتدسَّ النقودَ بيد البائعِ -تأخذُكَ خضاركَ.
يهتزّ البردُ على نافذتكِ ولا تتفاعَلٍ
تمطر ولا تتندى أريكَتك إحساساً

أعدَّت الزوجةُ أحمرَ شفاهها
ستمسَحه بيديك،
الكحل يشطُّ على الرقبة -لا يثيركَ الجمالُ منذ زمن-

لم تسألْ نفسكَ يوماً، ما الفرقُ بينَكَ وبين أدوات الميكانيكي؟
هل فرّقتِ بينك وبين السمكة التي تهزُّ ذيلَها في حَوضِ المدير؟
المروحةَ تتحركُ وتبثُّ الهواءَ، تتحركُ أنت وتأتي بَالتماسيحِ لعشائك؟

( تذكّر دائماً أنك مصاب بالنسيان حتّى لا تتذكر تفاصيل قضيتها مع أحد مات في انفجار. تذكّر أن موت أحدهم هو رصاصة الرحمة التي ينتظرها الجميع وقد تأخرت

كثيراً. لا تفكّر بالذهاب إلى العزاء أبداً. أنت الوحيد الذي يحتاج معزين كل يوم ليخففوا من مأساة موتك ) .

ستقفَ مجدَّداً

مبتسماً

أنتَ وادعاءاتُكَ وروتينكَ في شريط مصوَّر

سيثب الشريطُ بميكانيكيّته إلى رفوفٍ أيام قادمة.

ترتحلُ، بسرعة، أشخاصاً يتقافزون خارج الكادر،

تحكي حكاياتِهم، للمديرِ والموظفةِ، وتحكي للزوجة أمنياتٍ في مداعبتها.

تنام.

( وأخيراً نجوت. في الغروب، حاول أن تصبح ثقيلاً كفقمة، التزم مكاناً قصياً، مطعما تأكل فيه "سندويش"، أو شقّة صديق يملّ، عادةً، من أحاديثك. بعد مرور كل هذا ستجد نفسك سالماً في منزل صديق آخر، أو في حانة ينقّ فيها الجميع كالضفادع بشأن صعوبة اليوم الذي قضوه. كل الأيام مقطّعة الأوصال. الجميع مصابون بفقدان الذاكرة. تسرّبت الساعات في آخر اليوم من العقول كأحصنة بريّة وغاصت في النفق البعيد. لم تبلغ المنزل

بعد. سِرّ بقدر ما تستطيع في شوارع المدينة. لا تناقش أيّ مسألة جادّة. وتحوّل إلى كائن سخيف يضحك لأي شيء. حافظ على هذه الابتسامة حتّى الوصول إلى المنزل. لا تزعج أحدّاً، لا تحضِّر أي شيء للغد. لا تكوي الملابس لأنها جميعها صالحة للموت. فقط نم، وأحلم بالمدن البعيدة، وبالنجمات اللواتي ستلتقيهن في الأسبوع المقبل ).

تلحقَ بالباصِ صباحاً، لا مكانَ للتماسيح. كيس يحمل خضاراً وزيتاً، وكيس في رأسك.

( أقفُ قبالة النافذة الصغيرة، آخذ منها قناني العرق والويسكي بثلاثة أكياس سوداء. أدفع ثمنها، وأحاول ألا أسير بعجالة أبداً. أركب السيارة. ينطلق السائق بسرعة حتى نبتعد عن المكان.

الشخص الذي باعني الخمر سال دمه وتمازج بدم زبائنه - كان من المفترض أن أكون قتيلاً - وقفت ثلاث سيارات مظللة مساءً، ترجل عشرة مسلحين بحركة هوليودية أمام الناس، فتحوا النار من البنادق البراقة، وخلّفوا دماً وأجساداً مثقوبة.
قد أكون ميتاً في إحدى هذه المرات، لكني ما زلت أتنفس) .

المرآةُ تعكس نَصَّك
تَتَهندس في قصِّك ولا وجه يَحضر فيها.
لا تسألِ الإلهَ عن جدواه بقدْرِ ما تسألُ نفسَك.

يلفُّكَ الغموض، يلفُّكَ عشْبَ الحكاية
تتكررَ سنواتُكَ في صورك،
تشيخُ اللقطةُ حزناً ولا تَحسُّ بوجودِك.

تندمُ القطّةُ على تساقُط فرائها
بينما تتساقطُ سنواتُكَ كالَمعابدِ ولا يهمُّكَ أمرُها.

( مرَّ مقتل هؤلاء كما مرّ مقتل الجميع من دون صخب. رثيناهم سريعاً بأبيات أبي نواس، حزنا جميعاً لساعتين. توقّفنا عن كل شيء للحظات.
تخيلت موتنا القادم. أغلبنا يشتري خمره من هذه المحلات... يعرف البائعون وجوهنا، يعرفون ما نفضّله من مشروب، ويحاولون ألاّ يرفعوا أسعارها وقت اشتداد المناسبات الدينية حتى لا نتوقّف عن التبضع منهم. وحتّى لا نفتقد ابتساماتهم، ولا يفتقدون خوفنا ونحن نحمل قناني الخمر، وكأنها جثث هامدة في أكياس نايلون. جثث سنتفنن بتقطيعها، ونضيف لها اللبن والخس والخيار، وستنزل إلى أحشائنا بالقليل من الثلج ).

تربّي كلمات الزوجِ في دوارق يأسك
تخجلِ من أكياسِ النايلون
تخجل من لطخة بائعِ السَّمكِ على قميصك،
لكنك،
لن تنظر إلى اليومِ بخجلٍ.

( بعد مقتل كل بائع خمر أو نادلٍ أتذكر أولئك الندل البشوشين القادمين من الشمال تاركين خلفهم زوجات وأطفال. يأتون إلى العاصمة حاملين آمال بعيش أفضل، بعد أن ضرب الفقر قراهم. يتحلّقون حول الطاولات من أجل كسب كلمة طيبة وابتسامة رضى من الزبون الذي دبّت فيه الخمر. يروون لنا طبيعة قراهم، ويعرضون صور أطفالهم في هواتف محمولة فقيرة. يعانقونا بحرارة أثناء الذهاب إلى إجازاتهم. يعانقونا كأننا جنود في جبهة، سيفقد أحدنا الآخر في أي هجوم ).

جربت يوماً أن تفتح الباب وتغلقَه
تفتحه وتغلقَه، فقط، لتصطنع شخصاً!.

تدعو كلَّ الضجيجِ في الليل —الصَّخب ضيفٌ فرَّ
الكونُ قاحل،

وأنتَ، مرتبكٌ على سريرٍ يغوصُ في بحارِ وحدتك.

تُعدُّ الخضارَ على رخامِ انتظارِكِ
تَصبُّ كأسي نبيذٍ
تقذفُ فستقاً نحوَ السَّماء
قميصُ كتّانٍ للَّيلِ، وحِذاءٌ نظيفٌ من جَرْيِ الصباح،
تفتحِ البابَ، تَدقُّ عنق الجرسِ بإصبعكَ
ترحِّبُ بكلِّ الصَّمت
ضيفٌ ثقيل عليك، لا يشرب من نَبيذكَ، ولا يفتحُ أزرارَ قميصكَ.

( شيّعت قرية في نينوى يسكنها الإيزديون نحو 15 شاباً. لم يكن تشييعاً مهيباً. مرَّ بصمت بارد أحرق أيدي «سربست» وهو يحمل تابوت صديقه.
تطارد هؤلاء لعنة الأسماء. غيروا أسماءهم لتتماشى مع الطائفية، يتحوّل اسم «داني» إلى «علي» و«دلوفان» إلى «عثمان». فقدت بغداد أولئك في لحظات مجنونة باتت لا تفرق فيها بين الضحيّة والجلاد. عادوا إلى شمالهم المتنازع عليه، والذي ينهشه الفقر، ولا يعرفون ما الذي يفعلونه، لكنا ما زلنا نخاطر وعدنا لنشتري الخمر مجدداً من شبّان آخرين، في أماكن أخرى ).

جنون المدينة الغول هذه يزيدنا جنوناً.

أركب السيارة وأنا أحمل الأكياس السوداء، وكأني انتصرت على ليلة كئيبة أخرى.

تدقُّ الجرس
تُرَحِّبَ بكلِّ الخوف
تَهربُ مرَتعباً في زاوية، بينما تحملُ بيدكَ مسدَّس طرده.
تَفَضُّ الجلسة،
لن تنام مجدَّداً،
لن تنتظر ضيفاً
تُطيِّرُ خيالاتك،
تغطُّ في شيَء غريب.

( لا أحد يهتم لموتهم. إنه موت قد يجد تشجيعاً. موت سيصرف بائعي الخمور عن بغداد، وتبقى العاصمة «إسلامية» كما تريدها السلطة. موت أخرج «سربست» و«كريم» إلى قريتهما، يسألان عنا دائماً ويحذراننا من دخول البارات، بعد أن شاهدوا أصدقاءهم يسقطون الواحد تلو الآخر، لكننا نعود إليها مجدداً، ونصاحب نُدّلاً جدداً ).

بطلانَ الضَّيف،

بُطلانُ الأُمسيات تحترقُ فورَ اندلاعها على الطاولات

لا شيء قابل للتَأويلِ في مسائك

مُعَدٌّ كلُّ شيءٍ للفراغِ،

والخيالُ يجنح ً وتشدُّه بحبلِ أَرَقكَ، يهربُ وتشدُّه إلِى أريكتكَ،

اللوحةُ، لا تطير سوِى على الجِدار، ولن تعلو أكثر من خَيالكَ،

تتمنى اليوم أن تؤلّف صوتاً غير صمت ضيوفك.

تهزأُ بالأسماء،

لن يعودَ ضَيفاً ليأخذَ اسمَهُ من رُخامك،

لن تشتهي أكثر من نَهد وبضع قُبلات.

( تمّت المهمّة بنجاح. الكيس الأسود لم يتغيّر بعد كل تلك الأحداث. للمرّة الألف لم أقتل، لكني افتقد وجهاً كلما ذهبت إلى حانة أو محل. كل مرّة يبقى الخوف مسيطراً. الوجوه الخائفة ذاتها.

لا شيء غير الخمر يجعلنا نمسِّد على شعر هذه المدينة الغول. بعد كل رشفة نضع الماكياج على وجهها. بعد كأس تبدو أكثر مرونة وانصياع.

بعد كل قنينة، تدبّ فيها الرعونة مجدداً.

بعد قليل سيدبّ السكر فينا.. ليعود أبو نؤاس من منفاه ) .

الضوء يثيرك
اطبقِ السَّماء على سريركَ وأرْخِ النُّعاس على ملابس فارغة
(من ينامُ فِي الحكاية يظَلُّ فيها)
واعظٌ أنت في حكاَيتك، والليل مُدْلهَمٌّ على وَحدتك.

تَصفِقُ الأبوابَ كلّها وتفتح الشبابيكَ لِريحِ الخيال
يصلَ الخيالُ كحمامة الراعِي إلى نافذتك ويطير مجدَّداً.
لن يحطَّ في صمتكَ إلا صمت

تركضُ الضحكةُ في رأسك
أصوات تُمرِّغُ نفسها فيَ الصمت
الوقت، دونَ منازعٍ، خليل وحدتك

ترتجي الكونَ على الغياب
معاقةٌ تلكَ الكائنات حينَ تخرس في حضورك
تجرُّ الشرائطَ نحو المغاسل لتُقطِّر طفولةَ المدارس.

( يبكي الرجل حياته القادمة. يبكيها لأنها ماتت أمامه من غير مساعدة أحد. يحتضن رأسه. يغط في حزنٍ عميق، تدور في رأسه مشاهد قديمة: الأسنان التي يملؤها

البرسيم وهي تلمع، صوته المزعج في الصباح. تعبه في الصيف، ونزواته المستمرة في الشوارع المكتظة بأشباهه) .

تجري الكائناتُ على حائطك
تُذكّركَ بنبوءِة الجدَّة وخُرافةَ السِّحْر:
(أنت وحيدكَ!)
الزوجةُ فضَّتْ صورتَها من رأسكَ وشرَّحَتْ أجساداً في (الطبِّ العدلي)
لا طبيبةَ في حضورك،
مرضكَ الغياب.

ثمّةَ جثّة تنعَم بأظفار لَهْوِك
وأيضاً،
بضع مقصّاتُ ومبضعٌ للزوجة الطبيبة
والبياض أشدُّ حفاوة منك بالجسد

يسيلُ لُعابُكَ على صوت
يقفز بين ساقَيْك ضفدَعَانِ تضربُهما بملَلك

أنتَ كائنٌ رغمَ كونكِ
كائن ينتظر موتاً وأظفاراً وطَرَقَ باب.

( الحياة... حمار ميت في بغداد.
رجل سحقت سيارة حماره، احتضنه واسترسل بالبكاء، فيما يختنق الناس من حوله بضحك هستيري وهم يمسكون كاميرات هواتفهم المحمولة.
لم تكن سيارة مفخخة لتسلبه حياته، بل أخرى رعناء تستكثر حمار كان أقرب أقرابه وقد قضيا ليالٍ طوال، لا يسكت نظراتهما لبعضهما البعض إلا التعب والنعاس. يخططان ليومهما طويلاً، يعدان بعضهما بعضاً بالصبر وبالبرسيم ) .




*تُكرِّرُ الحكايةَ نفسَها -على مسامِعِكَ-*
*تنفصلُ عن نَفْسِكَ وتتحدَّثُ عن اثنينِ في جسدِك.*

( الرجل الذي بكي طويلاً، ونسي كل الضحك الذي حوله، لم يصدّق الدم. لم يفكّر، للحظة واحدة، أنه سيجوب شوارع العاصمة وحيداً دون نهيق صاحبه ونزواته عندما يرى أتان مشبوقة ).

قُرابةَ السّاحل نامَ الخالقُ
ترشُّ مياهكَ على وجهَه
يمدِّد قدميه على قصرهما
أصابعكَ تُزهر فحيحاً خافتاً
والخليقةَ مجرّةٌ أضاعتها لوثةُ حمارٍ هاربٍ من وقتِه.

( كان الرجل على يقين، مثلما كل السكان، أن الموت وشيك، لكن وقت النحب لا بدّ أن يكون مع صاحبه. أن يجمعهما عزاء واحد وأن يقال "فلان مات مع حماره". لم يتصوّر أن يتركه الحمار في حياة وحشيّة كهذه، من دون صبر صاحبه الذي يكدّ على عائلته أكثر ممّا يتعب هو أحياناً ).

ترتمي المدِينةُ بالسَّواد، تسيرُ كأنَّكَ مجاز الطريق
لا شريك في مسائلكَ
تُسيِّرُ جنازَةَ كلِّ فكرةٍ تحلّقتْ في رأسِكَ.

( هل هناك أحد يبكي حماراً؟

هكذا كان يردّد أحدهم. ما عادت قتامة الدم توعز لسكّان بغداد بشيء. لكن أحدهم هناك من خلف كاميرا هاتفه المحمول سيحسد الحمار لأنه وجد رجلاً يبكيه وحده، دون إشراك أحد غيره في العويل المطوّل، على العكس من الأمهات اللواتي يبكين بالجملة أخوين قضيا بانفجار. سيحسد كثيرون موت الحمار "الوثير" بحادث سيارة، بدلاً من انفجار.

على قهقهاتهم ودموعهم الساخرة.. يغارون من تلك المحبّة ).

تَسير في الخراب
حَاملاً أملاً في جيبِك.

تَنتظر مجدَّداً
إله التَّمرِ وبضعةً مؤلّهين،
القيامةَ تعود
قالَبُ العبادةِ تُغيّر ألوانَه تمتمةُ دعاءِ الدجّال
الكلبُ يدورِ وحيداً ويلتقطُ تمتمةً لِيُعلّقَها حرزاً لأُمنيته –من تحققت أُمنيته أَصلَح عرشاً.

( يشعرون وكأنهم في غرفة ضيّقة ورائحة الموت تملأ أنوفهم. لا أحد يخرجهم من تلك الغرفة التي تضيق. حتى لو ماتوا، لن يخرجوا.. لأن أحد لا ينتظرهم هناك ملوّحاً بالعويل. هيهات لو يصيروا حميراً ).

تنتظر الغاوين
تنتظر ألوانَهُمْ كاملةً تتقافزُ على مصاطبِ الحدائق
تنتظر الأصابع
تبتُرُ الأصابعِ حينَ تخرُجَ من عباءتها وتشيرُ إلى دارِ حيْرَتِك
تنتظر المفاتيح تقفزُ متراصفةً من أسماءٍ بلا معجزات

تنتظرُ الملاعقَ تسري في جسد الصَّحْنِ دونَ أن تجرَحَهُ

أما الأشباحُ في هيئاتهمْ أكثرُ إثارةً للضَحك
والبهلوانُ يبكي زينتهُ التي فَرَّتْ مع جوادَ جاهليٍّ خرجَ من عظامه والتبس التمدُّن.

تتقافز الألعابُ من سروالِ المهرِّجِ، والأطفالُ يتقاذفونَ عظم الأُمنية.
تقولُ:
للطريقِ زينةُ السرِّ تُركَ للنَّهْب

مَنْ غَرزَ سكين الحيرة في عَقلك؟
مِنْ لكَ الآنَ في استدراجِ الضَمير إلى مغارته؟
منْ لكَ في بثِّ الضَّوءِ من ظلامِكَ؟
من لكَ في المدينة سوَى عظامٍ فَرَكَتْها الأُمنيات؟

تسير ولا تَذَكُّر،
ينبت الضِّلْع مجدَّداً حتى يَخْضَرَّ
احترقَ ما يعينُ الحياةَ على لقاءِ أُختها الحياة

تسير،

وما المسيرُ في الحكاية؟

الحائطُ مواربٌ في انتظارِ جسدِ الهواء

ضوءٌ يجفلُ مِن حراكك

الأثاثُ يُصدر صريرَ المَلَل

كائنُ الخوفِ يثبُ في المكانِ كلّه

ما الذي تَغيَّرَ لتُفكّرَ في حكايتكَ الآن؟

أنتَ ابن اهتزازٍ وليلة سريعة في انطفائها

امضِ كأنّكَ تُنفِّذُ الحكايةً.

الجْدَّةُ نَفَضتْ عباءتها

رمَتِ الحكايةَ على وجهِكَ ونامتْ مَعَ الأولياء

لا نَوم بعدَ

الإغماضةِ لا تثق بالحلم.

(الحياة حمار ميت في بغداد، بَيْدَ لا نوّاحات له ولا رثاء)

السريرُ خالٍ صباحاً من أفعالك
الإسفنج أخذَ شكلَ جسدِكَ
جاهز سريرك لليلٍ دون صَخب

الملاءةُ البيضاءُ عندَ إصبعِ قَدَمكَ
لن تكونَ ملاكاً مهما أَطَلْتَ النّظرَ فيها.

( كم مرة نجونا من موت محقّق؟
نعدّ حياتنا على أصابعنا ونحن نُزايد في ذكر اللّحظات المرعبة كلمّا انفتحت سيرة الانفجارات والرصاص الذي يسير في الهواء دون رادع. نروي قصص النجاة كساردٍ ماهرٍ لا يفوّت مشهداً أو تفصيلاً صغيراً من الحدث.
نتذكر مشهد اللهب المتصاعد بعد انفجار سيّارة ملغّمة، الهسيس الذي عَلَق بالآذان بعد الدوي.
ثم سرعان ما نتحرّك باحتراف نمثل مشهد الانفجار برّمته: كيف هَروَلت أقدامنا، وكيف جالت أعيننا على الجثث التي ترامت حوله.. وكيف لسعت حرارة الدم على الإسفلت القلب فتورم ).

هكذا استفزَّتْكَ اللغةَ فجأةً حين هربتَ!
لا مساءِ بمعانٍ دونَ أبجدية
كلمةً

كلمةَ

تسللت اللغةُ من صباحِ الصحفيِّ وهو يكتبُ انفجاراً تلوَ آخرَ

تغطّي زوجكَ وجهكَ بانفجارِ شهوتها
لا تسيل جملةٌ من ذلك
-التركيب يهرب أيضاً-
هندسةَ النَّص أكثر مراوغةَ
سطْراً بعدَ سطْرٍ بعدَ سطْرٍ

اكتملت المقالة
حضرتِ الزوجةُ فِي العنوانِ
والشِّعرَ ينسلُّ مِن الورقِ ويختلي بالكون.

( يكاد المرء يُعدم أن يجد كائناً يدّب على "أرض السواد" لم يرَ الموت بأم عينه ).

تُرى ما السؤالُ الذي يشْغَلُكَ بعدَ أن فرَّ الكونُ من خيالك؟
أَيُّ معنى فِي الصَّيد بعدَ أن استقرَّ شَصُّكَ في مجازِ الحكايَةِ؟
أوليس الموت قصيدَةً في مهبِّ الاندثار؟

لن يؤوَّلَ سطْر
لن تَكتبَ في حلْكَة الحبْرِ ضوءاً

تَستَطردُ الموسِيقى في الكتابة
يستطرد المجاز في موسيقاه.

ابحثْ عن إيقاعٍ آخر غيرِ إيقاعكَ الملبَّد بالهدوء:
على القصيدة أن تُراقص معناها في دورَق الحكمة.

( لم يكن أهلنا وإخوتنا الذين يكبروننا، يتحدّثون عن الموت صراحة. كانوا يلمّون أنفسهم في دائرة مغلقة، ويسردون قصص الدفن التي غالباً ما تُحاط بالهمس والتعويذ ومط الآذان من النساء وآيات قرآن معيّنة يردّدها الرجال. يحاط الحديث عن الموت بالهيبة.. يخافه الجميع، ويُلحَق دائماً بأساطير عن الأموات، وغالباً ما تحمل اللحظات الأخيرة قبل دفنهم نتفاً من تفاصيل صغيرة عن وجه الميّت وقدميه. يصير نَفَسُ الجُلاّس بارداً أثناء الحديث، وتصبح الوجوه صفراء كأن الدم فرّ منها مرّة واحدة. كان الموت كثيراً في التسعينيات. كان الموت أسطورتنا في التسعينيات ) .

إنّها لَذَّةٌ

أنْ تَجمعَ فِي خصمكَ عداوتَكَ كلّها
أنْ تقْضَم وقتَكَ الفارغَ مِن أُذُنه
سرعانَ ما تكتشفُ قبْحَ وجهكَ. سرْعانَ ما تصبحُ خلَّ الليلِ وعدوَّ الشَّمس.
أنْ تجدَ الكونَ يحشرُ إصبعهُ في أَنفه، يقذفُ موتاً بإصبعه نحوَ الفراغ،
ذلكَ بالتأكيد كذبٌ، خديعةٌ أخرىٍ على أَحَد ما لَمَّها.
الحدائقُ تستمرُّ في الانبعاث؟. الماءُ المتشقلبُ في أراجيحِ الهواء وابتسامة الطفلِ الغبية؟.
أنْ تنظرَ هذا يعني أن تَمحو الكآبة.

- فَسِّرِ الأمرٍ دونَ عناية إلهِيّة
ما الذي تنتظره من حديقةٍ مدعوكة بكآبة الأَحذية؟.

حسناً،

الثقبُ يرتفع دونَ منازع،
ترتفعُ معهِ حتى الموتِ -فقط- لترى حياةً أُخرى تُطلُّ من خلْفه، مرجٌ متقلّبُ اللّون ينتشر، آلهةٌ بقوانين مفتوحة حتى

السَّماء. جنرالٌ يركضُ وراءَ فراشة. وفي الخوذة البُنّية نبتَ عشب كأنَّه القيامة. ترتفع حتى تنطَّ عينكَ للجَهة الأَخرى. عنقُكَ ينغمس في صدأ عالَمكَ. قدماكَ تغرقانَ رويدًا رويدًا في بحيرةِ استمناء حياتك. وعينُكَ الهاربة تغرس جسدَها في فتاة تلبسِ الخرافةَ. قُرطَان يزيِّنان حديقةَ الكون. وأظافر قَدَم تنزُّ فراشاً. قدمك تغور أكثر -لن تحبلَ كرشةُ رِجلك من مني عالَمكَ. خطوتان للخلْف تبقى وحيداً، الرخُّ قتلَ مواطنيك.

عينكَ ترى ولا تثرثر

إصبعكَ تلتهم سكائرك -مايكوفسكي يداعب عضوكَ- جيبكَ يستر مايكوفسكي ويلعن فضائحكَ واحدةً واحدةً.

إفلاسٌ للسَّماء أن تعزلَ برزخ الطبيعة عن أُختها الطبيعة.

الأُختُ الكبرى تنهض مجدَّداً من سُباتها،

الأُختُ الصُّغرى، بعناية كاملة تُجمِّل شفتَها السُّفلى بلون الدَّم القاني، والشَّفةُ العليا وردَّيةٌ كترفُّعها عن جسمها.

لذَّةٌ أن تسرقَ المكياجَ لتُجمِّلِ نفسكَ بالألوان

تسرقُ ابتسامةً وتُخبِّئها في جوربك

ولا شيء سوى صنعة تتقنها، تبتسم للباص كلَّ صباحٍ دونَ دراسة. تركب النساء. تعطي المقود النقود ليرجَّك.
اتَّضحَ شيء ما–

تقفُ
عَاهة
في وجه المتحف
تنذر قامتك للفرجة

لا يدعو شيء للنظر سوى منظرك كلَّ يوم،
تلك الإشارات أكثر ريبة مما تعتقد. تنوجد لتعطِّل مسيرتك.
دقائق تجد نفسك ميتاً على ضوء. ترى الألوان بكاملِ بريقها.

الخُطوطُ المنثالةُ على ظَهرِ الشَارعِ تَدلُّك إلى طَريقٍ خَاطئة.

عندما لَيلاً على الضَّوء
تبدأُ بتقنين أفكارك، تتنازلُ عن كلِّ شيء، ولا تُفكّر بشيء سوى التنازل، مفتاح تلو آخر، هدف تلو هدف، وهكذا تتركُ الطموح يغطُّ في شخيره، كأنَّك لا تراه، رغم أنه يحولُ دونك ودون زوجك، ويعرقُ في سريركما.

بنفسِ الخطوة تسيرُ صباحاً إلى حتْفك

قدماكَ تعرفانَ فعلَ ما ينبغي، خَطوةً تليها خطوةٌ، لا مجالَ للتمرُّدِ على نَفسَك. ثمّةَ قَدمٌ غيّرتْ خطوتَها وتمرّدتْ عليكَ ومسحتْ نذالتَها بسروالكَ. علاماتٌ كثيرةٌ وأنتَ مشدوهٌ بالإشارة.

الإعلانُ التجاريُّ

فيه، بالطبعِ، فَتاةُ أحلامك،

البيتَ،

فيه، بالطبعِ، ذُبابةُ حياتكَ،

كلَّ يومٍ، ستسير، وتنامُ، وتعبِّئ نفسكَ باليوم، وبالأمنيات.

( لكن الموت اليوم يدخل إلى منازلنا ضاجاً عارماً.. بل وصار يجلب نكتته معه. فقد ذاك السر الهيّاب وأخذ الصغار يعرفون كيف يُغسَّل الميّت ويُلَّف، وما هي شكل الحفرة التي سيُطمُّ فيها إلى الأبد. وصار الدفّانون مشاهير يتبارون مع الموت على صيته.. في الـ"فايسبوك" ).

تَضرِبُ على أظافر المدينة ليلاً

تنتفَ شعرها بينماَ تثرثر أصابعُكَ في فَمِها.

تلوم المدينةَ لأنَّ شيبها فاقَ السَّماء

ولا ريبةَ في المدينة سوى كائناتها.

الخرابُ وحدَهُ ينامُ في إبطِ المدينة.

يسيرُ الأنسيون بحقائب موتهمْ صباحاً،
يرتِّبُ الشياطين الخضرواتِ المنتفخة،
يزاحِمُ البصل رائحة عطرٍ فرَّتْ من جيد
تزاحُمَ الطماطم خداً خجلاً في حمْرتهِ.

تسيءُ فهمَ المدينة،
إنها تكبر
ولا مكياجَ في حقائبها.

( عند الموت يحضِّر الجميع أجهزة الموبايلات. يلمعون عدساتها بأكمِّهم من أجل التقاط "سيلفي" مع القبر المفتوح أو على أقل تقدير مع التابوت.

في إحدى المرات انتشرت صورة لشبّان متجمّعين خلف تابوت التقطوا صورة تذكارية.

في أخرى التقط أحدهم
صورة مع قبر صديقه
..
صورة إلى جانب موتنا ).

الكائنات

تلبطُ عندَ قَدَمكَ. مكياجٌ على ظَهْرِها،
حمْرَةٌ قَانيةٌ علىٍ أَنفها،
تَلبطُ الكَائنات وأَنت دونَ إحساسٍ بوجودها
لا تمُرُّ علىَ مخيلتكَ أيّةُ صورة
لا تستحضر التاَريخ.
صباحاً سينبضُ القلم في قلبكِ
الورقةُ تتربَّص بمّخيلتك
لن تدعو الآلهة َ

يتدحرج طعامكَ في الجرارة،
شاشةُ الحاسوبِ تنقلُ خبراً تلوَ آخر دونَ حسابٍ لشيءٍ.

الكائنات تَلبطُ جانبَ إبطك
مؤخراً، لم تحسَّ بكلِّ الغَرابَة حولَك.

لَمْ يَكُنْ فِي غيابكَ
سوى مهرجين
ينقرون دفوف الحشمة.

لَمْ يَكُنْ ما كان في جَداول الشّمس من مَشهد التَكوين
كانَ القَلق ينصبُّ في راحتي الحياة
وكانت الوحدَة -أُختَ الوجود،
تلبَس زينتها لينكَحها الفَراغ.

كُنت وحيداً
وكانت الأشياء
تَمطّ شَفَتيها لتبوس بقاياكَ.

كُنت هناكَ تَسفّر أفكارك
لتعود خَالياً من روحك
وَلتَحطّ فوَق أصابعَك أفعى.

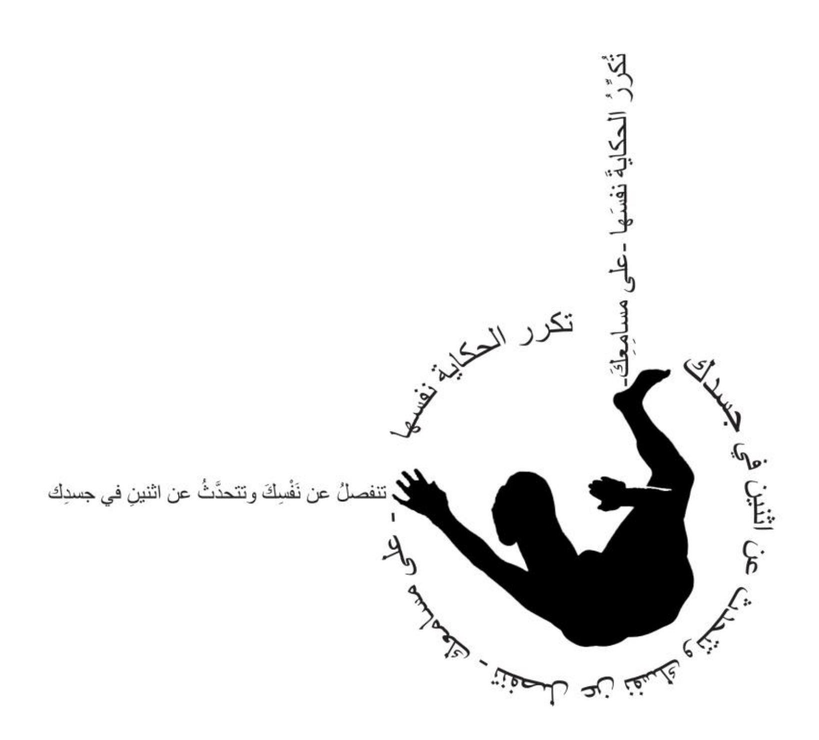
-من كان في غيبته يعرف ما عَرفتَه؟-
تصوفت كأنّك مجذَوب

وكأن ريح الرب تَنفخ عطاياها.

كُنتَ، كُلّما قَذَفت فكرَة،
تَحّركت البُحيرة وأجّجَت أَفكاراً تَتَدافَع كالبَرازِخِ إلى رأسك.
كُنتَ تَغيب
وكانَ مزاج الملائكة يَتَكر النُّصح والأَخطاء.

ضَريرٌ بجُرحكَ
بالهزائِمَ التَي تَتلو الريح
بالماضي الذي يرتُّق غيومه
بالرحلَة دونَ انتهاء

مريضٌ بالحياةِ ولا شفَاءِ.




*تُكرِّرُ الحكايةَ نفسَها -على مسامِعِكَ-*
*تنفصلُ عن نَفْسِكَ وتتحدَّثُ عن اثنينِ في جسدِك.*

لَم يبق لَك

سوى دُمية حَزينة

وَبضعِ أخطَاء إملائية في قَصيدة لَنْ تَنتهي.

لَم يبق

سوى بِضعِ تَواريخَ في علبة دَواء مهدِّيء

وَزوج تَستبدلُك بمستَشفياتَ

خالية من مَرضِ العشق.

لَمْ يَبقَ مِنْ كُلِّ تلكَ الحيَاة
غيرُ أمراضٍ مزمنة
تنام بلباسٍ نومٍ أَنِيقٍ فِي سريرِكَ.
استبدلَت موسيقاكَ بِهَرولَةِ حشراتٍ تئنُّ فِي رأسكَ
وَأَخذت الحُبَّ بنقالةٍ متهالكة
إلى مستشفى دوَن أطبّاء،
أصبحتَ على علاقةٍ جنسيَّة مع الحُبوبِ المنوّمة،
وفي كُلِّ لقاء، تغمزُ لَكَ المتعةُ أنْ نام
فلا تنام،
وتبقي أُذُنيكَ مُستعدّتين لِسماعِ رحيلهما
وهي تلطِّخ حلمكَ بالأمنيات.

وفي أوَّل نوبة للقَلب
أخذتَه بكيسٍ أَسود
وبعتَه لتاجرِ الخردوات.

فجأة، بصمت تام، قرَّرت الفَتاة أنْ تُهندس الحُبّ، وتَخلطه ببترول طُموحِها وتراءت لها شَفَة أُمنياتها فقبّلتها عنوة، ومزّقت ثوبَها، لترتَطم ببكارةِ الحياة –ولن تفضها– إذ إنَّ العلاقة

المشبوهة بين هندسة الحب والبترول لَن تَتَطور طالما إنّها أُمنية صدئة.
وطَالما أنّ العشق مريض
وقف ينفخ بوق الموت ليسلّل ضَجّة إلى جَسدها، وليرتّق غيومها بالصّمت الحميم؛ إذ لا شفاء من أَمراض استشرت بالروحِ إلّا بالشعوذة.

أرضيةٌ مستمرةٌ بالتقلّص
كُرسيٌّ هزاز يتخضرم بين زمانين
ستائر تطير خارجاً لتهرب

أكثرُ منْ هذا
المشهدُ قاتم
والفَتاة تتسَلل منْ الكادر؛
وثَمّة يدٌ تشطبَ الحلُم.




-تُكرِّرُ الحكايةَ نفسَها -على مسامِعِكَ
تنفصلُ عن نَفْسِكَ وتتحدَّثُ عن اثنينِ في جسدِك.

لَمْ تَكنِ التَميمَة جَاهِزة بَعد
لِتراهَن على ثُعبان يُسابَق الوقت
وَيَقَذِف السُّم فيٍ رحِمِ البُؤس.

( بتنا نحدِّق في موتنا القادم من بعيد، نتخيّل مصائره،
فيما نربّت على الأمل عسى أن يتعثّر حتفه ).

لأيّامه
مزارات تتقَصد

وخواتم عاجزة عن المعجزات
وسنوات عاطلة عن الحاضر.
غير أنّه
يُربّي ضحكة للملائكة
في غُرفة قطار لا يتوقّف.

كذلكَ

يرى ضَوءاً ينهمر

يُكنّيه أَحياناً الحظَّ

وأَحياناً الحبَّ

ومَرات يُسَمّيه ضَوءاً لا يَنفذ الرُوحَ.

باعَ أيّامَهُ لتاجرِ الوقت

ولم يشترِ سوى ساعة تُذّكره بماضيه،

وهكذاً

كانَ يمسِح تُحفَ خساراته

بقماشِ أُمنياته.



2016